رسائل الأدباء إلى الخلفاء والوزراء والأمراء

دراسة في ضوء قوانين المحادثة

أ.م.د. محمد عبد كاظم الخفاجي

أستاذ مساعد، رئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة البصرة

البريد الإلكتروني: dr.m.a.kafaji@gmail.com

م. م. رحاب فيصل عبد الوهّاب المنّاع

قسم اللغة العربيـة

كلية الآداب - جامعة البصرة

العراق

الاستلام	٢٠١٩/١/١٢	المراجعة	٢٠١٩/٣/١٩	النشر	٢٠١٩/٤/٣٠

الملخص:

تقع قوانين المحادثة في المرتبة الثانية حسب تقسيم هانسون للتداولية وتظهر أهميتها التواصلية في المجتمعات البشرية ككل، فلا نجاح لحديث ما ولا استمرار له دون أن يكون هنالك قوانين ضابطة لذلك الحديث. وقد اقتصرت هذه الدراسة المقتضبة على بيان أثر تلك القوانين في رسائل الأدباء الموجهة إلى الخلفاء والوزراء والأمراء.

الكلمات المفتاحية:

قوانين المحادثة، التداولية، التواصل، رسائل الأدباء.

Letters to the caliphs, ministers and princes

A Study in light of the laws of conversation

Prof. Mohamed Abd Kazem A-Khafagy

Associate Professor, Head of Arabic Language Dept.

Faculty of Arts, Al-Basra University

Iraq

Email: dr.m.a.kafaji@gmail.com

Prof. Rehab Faisal Abd El Wahaab Al Mannaa

Faculty of Arts, Al-Basra University

Iraq

Received	12/1/2019	Revised	19/3/2019	Published	30/4/2019

Abstract:

The rules of conversations have situated in the second stage according to the division of Hanson to the discussion, the importance for connecting has appeared in the human societies. There's no success or continuity for any speech without the rules that checked it, this brief study has focused on the decision that influenced on the rules in the artist's letters that are sent to the caliphs, Ministers and emperors.

Key words:

Laws of Conversations, Pragmatics, Communication, Letters of the Writers.

توطئة:

وضع بول غرايس (Paul Grice) في بحثه الشهير (المنطق والحوار) (Logic and Conversation) عام ١٩٦٧م [١] قوانين للمحادثة عُدت فيما بعد إحدى مبادئ النظرية التداولية. إذ أن محور هذه القوانين مهتم بالإجابة عن أسئلة من نوع (كيف يكون من الممكن أن يُعنى أكثر مما قيل حقيقة)؟ وتوصل هذا البحث إلى أن الناس قد تقول ما تقصد، أو قد تقول أكثر مما تقصد، وقد تقول ما لا تقصد (نقيض أقوالهم)؟ ومدار الحديث في هذه النظرية هو (القصد).

وقد صاغ غرايس مبادئ أربعة[٤]-مبدأ الكيف، ومبدأ الكم، ومبدأ الصيغة، ومبدأ العلاقة- كقوانين ضابطة للمحادثات، لاستمرار التفاعل وتواصل الحديث تجتمع هذه المبادئ في مبدأ كلي واحد، وهو (مبدأ التعاون)[٥] الذي يلخصه بقوله: ((اجعل إسهامك في الحديث على نحو ما يُتطلب من الغرض المقبول أو الاتجاه المقبول من الحديث الذي تشترك فيه))[٦] فيتوجب على طرفي الحديث التعاون فيما بينهما ليستمر ذلك الحديث الذي من أجله دخلا في تلك المحادثة. إن هذا التعاون بين البشر هو الأساس الذي انطلق منه غرايس، فكل حديث بين طرفين يستلزم أن يكون بينهما تعاونًا (إسهامًا)، ولو بقدر بسيط.

وهنا يُطرح السؤال الآتي:

ما علاقة مبدأ التأدب بظاهرة الاستلزام الحواري؟

فنقول: قد ترد في بعض الحالات محادثات بين طرفين حاملة صفة التأدب فينتهك[٧] مبدأ واحد من مبادئ التعاون أو أكثر، فحينئذٍ يحدث الاستلزام الحواري بينهما، أو حين يرغب أحدهما في استعمال المجازات في حديثه، أو المفارقات[٨] أو قد تكون المعرفة المشتركة بينهما على قدر عالٍ فلا يلتزمان بمبادئ التعاون، فحينئذٍ تبرز ظاهرة الاستلزام الحواري، التي ننتقل فيها مما قيل إلى ما ينبغي أن يفهم[٩] والتي استقلت فيما بعد وأصبحت نظرية لها كيانها الخاص أُطلق عليها اسم: الاستلزام الحواري أو نظرية التخاطب (Theory of Conversation)، أو المعنى غير المرئي:[١٠]

فالمعنى المستلزم هو المعنى الذي يشترك في معرفته كل من المتكلم والمخاطب، ويخضع للظروف المقامية التي نشأ فيها الحوار.[١١]

نستنتج من ذلك كله أنه لابد من بقاء التعاون قائمًا بين المتحاورين حتى وإن كان بنسب ضئيلة؛ لتتم العملية التواصلية وتستمر، فعدم التعاون بين الطرفين يؤدي إلى قطع التواصل الذي هو الأساس في كل حديث.

ومن المبادئ الشديدة الالتصاق بمبدأ التعاون الذي عدّ اليوم قانونًا رئيسًا من قوانين المحادثة في علم اللغة الحديث، مبدأ التأدب، الذي يعني: ((مجموعة من الطرائق المتعارف عليها داخل جماعة لغوية يتمثل دورها في الحفاظ على قدر من الانسجام في أثناء التفاعل بين المتكلمين برغم ما يترتب على كل لقاء واحتكاك من أخطار))[١٢] فما يميز ظاهرة التأدب أنها تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الدائرة اللغوية، فما يُعد من اللباقة والمجاملات والتهذيب في مجتمع ما، قد يكون في مجتمع آخر إهانة، وسلوكًا غير مهذب على الإطلاق، إذ أن الغاية الأساس في التأدب الحفاظ على العملية التواصلية والانسجام بين الأطراف المتحاورة، على الرغم من وجود بعض الهفوات التي قد تحدث أثناء الحوار، لذا نجد فيما بعد أن النظريات –نتيجة التطور الحاصل في تلك النظريات- قد اهتمت بمعالجة تلك الأخطاء التي من شأنها أن تقطع التواصل بين البشر.

ولم تبقَ هذه النظرية الغرايسية على حالها حتى يومنا هذا، بل اجتاحها التطور والتوسع -مثلها مثل النظريات الأُخر- فظهر للوجود عدد من التداوليين مثل: هورن (Horn)، وليفنسون، اللذين أطلق عليهما بالغرايسيين الجدد؛[١٣]

ثم ظهر سبيربر (Sperber)، وويلسون (Wilson)، وروبين كارستون (Robyn Carston)؛[١٤] وهارنش (Harnish)، وصادُك (Sadock).[١٥] وستختص تطبيقاتنا هنا بما ذكره كل من: (لاكوف، وبراون وليفنسون، وليتش) من مبادئ للتأدب؛ لشهرتهم في هذا المجال، ولأن كل الآراء التي جاءت بعدهم قد كررت ما قالوه.

المبحث الأول: الرسائل ومبدأ التعاون

إن مبدأ التعاون عبارة عن "افتراض أساسي في المحادثة مفاده أن كل مشارك سيحاول المساهمة بشكل مناسب في الوقت المطلوب، إلى تبادل الحديث الآني"؛[١٦] يفترض في كل من يُشارك في حديث ما، أن يسعى، بل ويساهم في تبادل الحديث عن طريق تعاونه مع الطرف الآخر؛ لأن أطراف الحديث كما يرى غرايس تتجاذبها قواعد كثيرة أهمها:

١- **قاعدة الكم(Principle Of Quantity):** يجب أن يتضمن حديثك القدر المطلوب من المعلومات، أي أخبر بما هو ضروري، دون نقص أو زيادة، وهذه القاعدة تضم بداخلها:

أ- ليكن كلامك مع مخاطبك على قدر حاجته.

ب- لا تجعل فائدة كلامك تخرج عن الحد المطلوب.

يقول لافوريل (Lavorel): "إن الإفراط في التزويد بالمعلومات مؤذٍ تمامًا كما الإنقاص منها".[١٨]

٢- **قاعدة الكيف(Principle Of Quality):** وتسمى أيضًا قاعدة النوع، ويمكننا أن نسميها قاعدة الصدق فالمتكلم يحاول فيها أن يقول الصدق. وهذه القاعدة كسابقتها أيضًا، تضم بداخلها ما يأتي:

أ- لا تتطرق لما هو كاذب في حديثك.

ب- لا تقل كلامًا دون دليل عليه.

تقول أوريكيوني: "تقتضي قاعدة النوع التالية (فلتكن مساهمتك صادقة) بوجوب الإدلاء بما نعتبره صادقًا وحسب، وهي تنطبق على التأكيدات والإخبارات، ولكن أيضًا على التساؤلات (حيثُ يرغب المتكلم بصدقٍ في معرفة الجواب)، والالتماسات (إذ يرغب المتكلم بصدقٍ في أن يمتثلَ المحاور)، والوعود والأقسام (بما أن المتكلم ينوي صدقًا الوفاء والالتزام بها)" [٢٠]

والملاحظ أن هذا المبدأ يمكن أن يدرج ضمنه توقيعات ووعود الخلفاء والوزراء والأمراء، فإن قطع أحدهم وعدًا ألزم نفسه بإيفائه.

٣- **قاعدة العلاقة، أو الصلة(Principle Of Relation\ Relevance):** ليكن كلامك مناسبًا لموضوع الحوار حين تتحدث مع الآخرين، فلا تتشعب في المواضيع، فهذه القاعدة تُعد كالحد الفاصل لتُبقي المتكلم قريبًا من الموضوع الأساس.

٤- **قاعدة الطريقة، أو الأسلوب[٢٢] (Principle Of Manner):** تتعلق هذه القاعدة بطريقة عرض الحوار أو أسلوبك فيه، وتضم بداخلها ما يأتي:

أ- تجنب الغموض والإبهام في الحديث.

ب- الابتعاد عن تعدد المعنى.

ت- الابتعاد عن الإطناب.

ث- المنهجيَّة والتنظيم.

إن هذه المبادئ التي وضعها غرايس، تُعد قانونًا ينضبط به أي حديث، ولا يُشترط توافر هذه المبادئ جميعها في الحديث، بل يكفي وجود مبدأ واحد منها.

وفيما يأتي بعض الأمثلة التطبيقية من رسائل الأدباء توضح تلك المبادئ، وكيف استعملوها أثناء مراسلتهم الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء. ونبدؤها بكتاب أبي العيناء إلى الوزير عبيد الله بن سليمان:

((أنا -أعزّك الله تعالى- وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سقيته راعَ وزكا، وإن جفوته ذَبُلَ وذوى[٢٣]وقد مسَّني منك جفاءٌ بعد برّ، وإغفالٌ بعد تعاهُدٍ، حتى تكلّم عدوّ، وشمتَ حاسدٌ، ولعبتْ بي ظنونُ رجالٍ كنتُ بهم لاعبًا، ولهم مجرّسًا[٢٤]ولله در أبي الأسود[٢٥]في قوله:

لا تُبْقِي بعد إذ أكْرَمْتَني ... وشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَهْ)).

فوقّع في رقعته:

((أنا -أسعدك الله- على الحال التي عهدت، وميلي إليك كما علمت، وليس من أنسأناه[٢٦]أهملناه، ولا من أخّرناه تركناه، مع اقتطاع الشغل لنا، واقتسام[٢٧]زماننا، وكان من حقّك علينا أن تذكّرنا بنفسك، وتعلمنا أمرك؛ وقد وقّعت لك برزق شهرين؛ لتريح غلّتك[٢٨]وتعرفني مبلغ استحقاقك، لأطلق لك باقي أرزاقك، إن شاء الله، والسلام))[٢٩]

إن هدف الحوار بين الكاتب والوزير هو حصول كاتب الرسالة هذه (أبو العيناء) على مستحقاته الشهرية، حيث حاول كل منهما في محاورتهما تلك أن يراعي مبدأ التعاون والمبادئ المتفرعة عنه أيضًا. إذ أخبر الكاتبُ عن سوء حالته وما حل به من ضيق العيش -نتيجة انشغال الوزير عنه- بالقدر الوافي من المعلومات: (قد مسَّني منك جفاءٌ بعد برّ، وإغفالٌ بعد تعاهُدٍ، حتى تكلّم عدوّ، وشمتَ حاسدٌ، ولعبتْ بي ظنونُ رجالٍ كنتُ بهم لاعبًا، ولهم مجرّسًا)، محافظًا في الوقت نفسه على الإيجاز، غير مخل بالمعنى، فهو يخبر الوزير بواقع حاله، والهدف من ذلك إيقاظ الوزير من غفلته وصرف مستحقات الكاتب الشهرية. فبعد أن كان يتمتع بالنعيم أصبح الآن –لحظة كتابة الرسالة- محرومًا معدمًا، حتى حساده من قبل، صاروا به من الشامتين. فانتزاع النعم وانقطاعها عن صاحبها إهانة شديدة للمرء. واستشهد على ذلك ببيت أبي الأسود الدؤلي زيادة في التأثير على الوزير وإقناعه، فإن العادة الكريمة التي يعتادها المرء تؤلم كثيرًا عند انقطاعها، وقد تألم الكاتب فيما مضى من الأشهر، ويخشى أن يكون الانقطاع مستمرًا للشهور المقبلة.

نستنتج من ذلك أن ترتيب الكلام وتدرجه من القوي إلى الأقوى وبما يلائم وضع المخاطب وبما يريد أن ينبه المتكلم على أهميته في الخطاب، واضح في رسائل العرب منتبهين له منذ القدم، وهو ما يسميه غرايس بمبدأ الأسلوب.

وفي مبدأ الكيف نلاحظ أن أبا العيناء كان متعاونًا فيه أيضًا، وكان صادقًا فيما أخبر، فقد عاش تلك اللحظات وصوَّر ما عاشه بالرسالة التي بعثها، فهو معدم يشكو الفقر له ولعياله الذين شبههم بالزرع الذي سيذبل ويذوي إن لم يتداركه بالسقي.

ويُشهد للكاتب أنه كان محافظًا على مبدأ العلاقة (الصلة) فلم يتشعب بمواضيع أخرى بل التزم موضوعه الأساس من أول رسالته حتى نهايتها؛ ليوجه اهتمام الوزير نحو الهدف الأساس، فلا ينشغل بغيره من أمور مازجًا الشكوى بشكر نعم الوزير وتفضله عليه فيما مضى مبديًا رغبته في زيادة تلك النعم والإحسان عليه، وهو المبدأ المسيطر في هذه الرسالة، إذ قلل الكاتب اهتمامه بالمبادئ الغرايسية الأخرى وزاد الاهتمام بهذا المبدأ تحديدًا؛ للوصول إلى غايته في حواره مع الوزير، يقول القلقشندي فيما وضِع من شروط مكاتبة أصحاب الرتب الرفيعة: ((فيبني القول على الإيجاز ويمزج الشكوى بالشّكر والاعتداد بالآلاء، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرّ...فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس، وأدعى إلى بلوغ الغرض))[٣٠]:

ويأتي ردُّ الطرف الثاني (الوزير) مرتبًا بصورة دقيقة: (أنا -أسعدك الله- على الحال التي عهدت، وميلي إليك كما علمت، وليس من أنسأناه أهملناه، ولا من أخّرناه تركناه)، فكل عبارة فيه هي رد على عبارة من عبارات أبي العيناء في رسالة الابتداء، خالية من أي غموض، واضحة لا توقع المخاطب في لبس، وله قصد في ذلك ألا وهو (إظهار التودد واللين لمخاطبة)، وهو ما نادت به لاكوف في مبدأ التهذيب الذي سنفصل القول فيه فيما بعد.

وعلى صعيد مبدأ الصلة (العلاقة)، فإن الردود: (وليس من أنسأناه أهملناه، ولا من أخّرناه تركناه) جاءت متفقة مع موضوع رسالة الابتداء التي بعث بها أبو العيناء: (وقد مسَّني منك جفاءٌ بعد برّ، وإغفالٌ بعد تعاهُدٍ، حتى تكلّم عدوّ، وشمتَ حاسدٌ). فكل من الكاتب والوزير قد التزم بمبدأ العلاقة في حديثهما هذا؛ لأن الهدف الذي دخلا من أجله في محادثتهما لا يسمح بتشعب الكلام ولا الاستطراد في مواضيع أخرى. وهذا الالتزام بمبدأ العلاقة، يتبعه التزام بمبدأ الكم أيضًا، إذ أن الوزير أخبر الكاتب بأنه أطلق أرزاق ما قد مضى من الأشهر، هذا الإخبار يُعد وعدًا من الوزير بصرف المستحقات، فيبرز بذلك مبدأ الكيف بقوة؛ لأنه وعد بما هو قادر على إيفائه بحكم منصبه الوزاري، وطالبه بذكر مستحقاته الأخرى ليعطيه باقي الأرزاق أيضًا. يتضح من ذلك أن رسالتي الابتداء والجواب كانتا من الرسائل التي بدت عليها المبادئ الغرايسية سهلة التطبيق فكل منهما سعى في التعاون بتبادل الحديث بينهما والمساهمة في نجاح العملية التواصلية، ولاسيما مبدأ العلاقة (الصلة).

ومثله كتاب محمد بن عباد إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي[٣١]:

((ما زلت -أيدك الله تعالى- أذم الدهر بذمّك إياه، وأنتظر لنفسي ولك عقباه، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له إلا عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله، وأترك الإعذار في الطلب على الاختلال الشديد؛ ضنّا بالمعروف عندي إلّا عن أهله، وحبسًا لشكري[٣٢] إلا عن مستحقه)).[٣٣]

إذ استعمل في رسالته هذه أسلوب التلميح تاركًا للوزير استنباط معناها فتوجب على الوزير إذن فهم قصده الحقيقي. فلماذا كتب له محمد بن عباد هذه الرسالة؟

إن استعمال الكاتب أسلوب التلميح كان لغاية. ألا وهي لفت نظر الوزير دون إحراجه، ودون طرح مهابته محافظًا في الوقت نفسه على استعمال اللطيف من العبارات ليوفيه حقه من التوقير والتعظيم[٣٤]وقد خرق كاتب الرسالة هذه مبدأ الكم، إذ زاد كمية الإفادة المطلوبة وتجاوز الحد المناسب من المعلومات، فاحتاج الكاتب هنا إلى تنميق عباراته وتلطيفها فحصل نتيجة لهذا استلزام حواري. ومما يلاحظ عند خرق مبدأ الكم بالزيادة يحصل خرق لمبدأ الأسلوب، الذي ينص على عدم الإطناب.

أما على مستوى مبدأ العلاقة، فلم يخرج محمد بن عباد عن موضوعه الذي كتب الرسالة من أجله، بل تمحور حوله؛ لأن تشعب الحديث ليس من مصلحته، وأن أي خروج عن الحديث هنا سيؤدي إلى اللبس، إذ أن الكاتب استعمل التلميح في موضوعه الأساس، فلا يستطيع مع التلميح أن يتطرق إلى مواضيع أخرى.

ونجد الكاتب متعاونًا أيضًا عند البحث عن مبدأ الكيف في رسالته تلك، إذ لم يقل ما هو كاذب، حيث استعمل الأفعال التعبيرية كمحاولة منه لإيصال مشاعره: (مازلت...أذم الدهر بذمّك إياه، وأنتظر لنفسي ولك عقباه، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له إلا عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله)؛ فالتعبيريات هي أكثر الأفعال الكلامية تفاعلية وتواصلية؛ لأنها معتمدة على صدق النوايا وصدق المشاعر، ويبدو أن الكاتب قد استعملها في رسالته؛ ليصل إلى ما يبتغيه، ويهيمن على عواطف الوزير، وقد تحقق ذلك، إذ تعاطف معه ووقع أسفل كتابه:

((لم أوخر ذكرك تناسياً لحقّك، ولا إغفالًا لواجبك، ولا إرجاءً[٣٥]لُمهمّ أمرك، ولكنى ترقَّبت اتساعَ الحال، بانفساحَ الأعمال؛ لأخصَّك بأسْناها خَطَرًا[٣٦]وأجلِّها قدرًا، وأَعْوَدها بنفعٍ عليك، وأوفرها رِزْقًا لك، وأقربها مسافةً

منك؛ وإذا كنتَ ممن يَحْفِزه الإعجال، ولا يتّسِع له الإمهال، فسأختار لك خيرَ ما يشير إليه الوقت، وأقدّم النظر فيه، وأجعله أول ما أمضيه، إن شاء الله)).

وبما أن الكاتب في رسالة الابتداء قد خرق أحد المبادئ التعاونية، جاء رد الوزير في رسالة الجواب خرقًا لأحد المبادئ التعاونية أيضًا، ألا وهو مبدأ الأسلوب، إذ وقع في تعدد المعاني: (لم أؤخر ذكرك تناسياً لحقّك، ولا إغفالًا لواجبك، ولا إرجاءً لُمهمّ أمرك)، وقوله كذلك: (لأخصَّك بأسْناها خَطَرًا، وبأجلِّها قدرًا، وأَعْوَدها بنفعٍ عليك، وأوفرها رِزْقًا لك، وأقربها مسافةً منك)، وقوله أيضًا: (وإذا كنتَ ممن يَحْفِزه الإعجال، ولا يتّسِع له الإمهال) وهذا التعدد قد جره إلى خرق مبدأ الكم بزيادة كمية الإفادة، وهذا ما وجد من استلزام حواري في رسالة الجواب، إذ أن الوزير فهم ما ألمح به الكاتب فجاء الرد بالأسلوب نفسه، فالملاحظ على تلك الرسالة تركيزها على مبدأ الكم، فهو المهيمن فيها.

أما عن المبادئ الأخرى فقد التزم بها الوزير وكان متعاونًا في رسالة الجواب التي بعث بها إلى محمد بن عباد، فهذا مبدأ الكيف لم يخرق، بل إن الوزير وبحكم منصبه يستطيع الوفاء بكل قول يقوله، والتوقيع في أسفل رسالة محمد بن عباد دليل على صدقه، كيف لا وهو من كان يستميل قلوب رعيته بالعطايا والهبات[٣٧]أما المبدأ الرابع مبدأ الصلة فتمحور حول موضوعه الأساس، ولم يحدث خرق فيه، بل بدأ يوضح ويبرر لكاتبه سبب الانقطاع عنه والتأخير، ويبدو أن العلاقة بينهما وطيدة؛ لذا أخذ الوزير يفصل في تبريراته، فمن عادة أصحاب السلطة أن يكون كلامهم موجزًا مختصرًا، فما بالك إن كان توقيعًا.

وننتقل إلى رسالة التعريض التي بعث بها عمرو بن مسعدة إلى الخليفة المأمون التي يقول فيها:

((أما بعد، فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطولك[٨]في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تعدي طاعته والسلام)).

فكتب إليه المأمون:

((قد عرفنا توطئتك له وتعريضك لنفسك وأجبناك إليهما ووافقناك عليهما))[٣٩]

وأول الملاحظات على هذه الرسالة وجوابها أنهما متناقضان، فالكاتب استعمل أسلوب التعريض خشية استعمال الكلمات المباشرة، فلا مكانته تسمح له بذلك ولا ما جاء من أجله، فالكلمات والطلبات المباشرة في موقف كهذا قد تأتي بنتيجة عكسية، ويكون مصيرها الرفض، فلجأ عمرو إلى أسلوب وجد فيه ضالته، وهو أسلوب التلميح، هذا من ناحية الكاتب، أما من ناحية الخليفة فاستعمل الأسلوب المباشر وذلك بحكم منصبه، فهو الآمر الناهي فيهم، وقد جاءت كلماته في قمة الإيجاز والاختصار؛ لأنه توقيع والاختصار أبرز ما يميز التوقيعات؛[٤]ولأن المقام لا يسمح بالإطالة فالمتكلم متلهف لمعرفة مصير رسالته التي بعث بها فكان الاختصار في مصلحة الكاتب. فالمبدأ الذي أولاه الكاتب اهتمامه هو مبدأ الأسلوب. أما مبدأ الكيف فقد كان واضحًا عند الخليفة إذ باتت وعوده أمرًا واجب التنفيذ بحكم سلطته في الدولة.

وبالنسبة إلى مبدأ الصلة فاقتضاب الخليفة لرسالة الجواب دليل واضح على التزامه بالمبدأ هذا، فضلًا عن ذلك أنه توقيع ولا تحتمل التوقيعات الخروج عن الموضوع الرئيس والانشغال بمواضيع جانبية. أما على صعيد المبدأ الرابع من المبادئ التعاونية –مبدأ الكم- فنجد أن عمرًا قد التزم به أيضًا فعرض على الخليفة كمًا وافيًا من معلومات دون نقص أو زيادة.

وفي كتاب آخر لعمرٍو بن مسعدة بعث به إلى الخليفة المأمون كتب فيه:

((إن رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة[١]المطل بقضاء حاجته، ويأذن له في الانصراف إلى بلده، فعل إن شاء الله)).

فلما قرأ المأمون الرقعة، دعا عمرًا، فجعل يعجبه من حقن[٤٢] لفظها، وإيجاز المراد، فقال عمرو:

((فما نتيجتها يا أمير المؤمنين؟))

قال: ((الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه، وبجائزة مائة ألف درهم، صلة عن دناءة المطل وسماجة[٤٣] الإغفال))[٤٤]

يبدو أن المتحاورين قد احترم كل منهما مبدأ التعاون، فلا الكاتب يريد إيهام الخليفة أو خداعه، ولا الخليفة يريد المماطلة أو التضليل. ففي رسالة الابتداء كان عمرو منضبطًا وشديد الالتزام بمبدأ الكم، فهو يكتب للخليفة بحدود الإفادة، وعلى قدر حاجته، فأوجز ما أراد من غير أن يخل بالمعنى ولذا فقد أشاد الخليفة بهذا الأمر، وأُعجب به أيما إعجاب.

إن شدة استحسان الخليفة للرسالة هذه دليل على براعة الكاتب وقدرته العالية في اختيار أفضل أسلوب (طريقة) في محادثة الخليفة وقد أحسن ترتيب أفكاره ونظم مطالبه من غير إطناب أو إسهاب.

وقد بدا صدق الكاتب ورغبته بمعرفة جواب الخليفة حين قال: (فما نتيجتها يا أمير المؤمنين؟)، فهذه التساؤلات والرغبة الحقيقية في معرفة الجواب أدخلتها أوريكيوني ضمن مبدأ الكيف، ((حيثُ يرغب المتكلم بصدقٍ في معرفة الجواب))[٤٥]

وفي مقابل ذلك نية الخليفة الصادقة أيضًا بالوفاء بالوعد، إذ قال: (الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه، وبجائزة مائة ألف درهم، صلة عن دناءة المطل وسماجة الإغفال)، فالخليفة حتى نهاية رسالة الجواب منهر بما في تلك الرسالة من كلمات، والواضح أنها مؤثرة في نفسه جدًا، إذ أنه لم يؤخر جائزته حتى اليوم الثاني، بل قال (في هذا الوقت)، ولا يأتي التوقيع بهذه السرعة إلا في حالات مهمة ونادرة.

وحين متابعة مبدأ العلاقة أو الصلة في رسالة الجواب، نرى أن الخليفة لشدة إعجابه بأسلوب الكاتب قد خرق هذا المبدأ، وبدلًا من إجابة الكتاب راح يتكلم عن فضائله وبراعة البلاغة فيه وحسن اللفظ وجمال الإيجاز عند الكاتب، والدليل على هذا الخرق سؤال عمرو عن نتيجتها حيث قال: (فما نتيجتها يا أمير المؤمنين؟)؛ ليعيده إلى الموضوع الرئيس الذي جاء لأجله، فالكاتب ألمح أن الخليفة غير متعاون معه في إجابة حاجته حين تكلم عن موضوع لا صلة له بالموضوع الأساس.

نستنتج من ذلك كله أن التزام الكاتب العربي بمبادئ المحادثة وقوانينها دليل على درايتهم بتلك القوانين والمبادئ، فقد اشترطوا على الأديب جملة من القوانين عند المكاتبة: ((فلا تعتدّ بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظًا لائقًا بمن كاتبته، وملامسًا لمن راسلته، فإن إلباسك المعنى- وإن صحّ وشرف- لفظًا متخلفًا عن قدر المكتوب إليه، لم تجر به عادته، تهجين للمعنى وإخلال بقدره. وظلم بحق المكتوب إليه، ونقص ما يجب له؛ كما أن في اتباع تعارفهم، وما انتشرت به عاداتهم، وجرت به سنّتهم، قطعًا لعذرهم، وخروجًا من حقوقهم، وبلوغًا إلى غاية مرادهم، وإسقاطا لحجة أدبهم... فإنّ الكاتب إنما يصير كاتبًا بأن يضع كل معنى في موضعه، ويعلّق كل لفظة على طبقتها من المعنى... فتخيّر من الألفاظ أرجحها لفظًا وأجزلها معنى، وأشرفها جوهرًا وأكرمها حسبًا، وأليقها في مكانها، وأشكلها في موضعها؛ فإن حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنحت... فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها، وقصدك بها إلى غير مصابها، إنما هو كترقيع الثوب الذي لم تتشابه رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، خرج عن حد الجدّة وتغيّر حسنه...))[٤٦] هذه الكلمات تذكرنا بما وضعه غرايس من قوانين للمحادثات (كم الخبر، نوع الخبر، أسلوب الخبر، وكيف الخبر)، والدليل على ذلك ما وجدناه عند تطبيقنا نظرية غرايس على الإرث العربي القديم.

وفي نهاية العرض التطبيقي لمبدأ التعاون هذا نستطيع القول إن ما جاء به غرايس من رؤى وأفكار تمثل الحجر الأساس الذي انطلقت منه الدراسات اللاحقة، وما زال العمل به حاجة إلى التأمل والتطوير.

المبحث الثاني: الرسائل ومبدأ التأدب

مبدأ آخر من مبادئ المحادثة ظهر امتدادًا لمبدأ التعاون، ويمكن أن ندرج تحته النظريات الآتية:

أ- **نظرية الوجه**[٧] لبراون وليفنسون، ظهرت هذه النظرية للوجود التداولي في عملهما المشترك: (الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب)، ونصها: (لتصن وجه غيرك)، وتضم تحتها مفهومين أساسين هما:

أ-الوجه، ويعني: ذات المرء وقيمته الاجتماعية، وهو على قسمين:

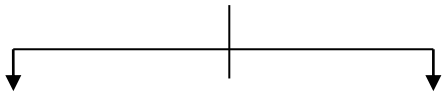

فالمتكلم أو المخاطب مخير بين أمرين في حديثه: أما أن يدفع الاعتراضات الموجهة إليه؛ للمحافظة على قيمته الاجتماعية وذاته بين الناس، أو يجلب الاعترافات بما قام به من عمل.

ب-التهديد: كل قول يهدد أو يعيق المتكلم أو المخاطب في دفع الاعتراض عن نفسه، أو جلب الاعتراف إليها. ولتخفيف التهديد وضعا خمسة مبادئ وللمتكلم الحرية في اختيار أحدها، وهي كالآتي:

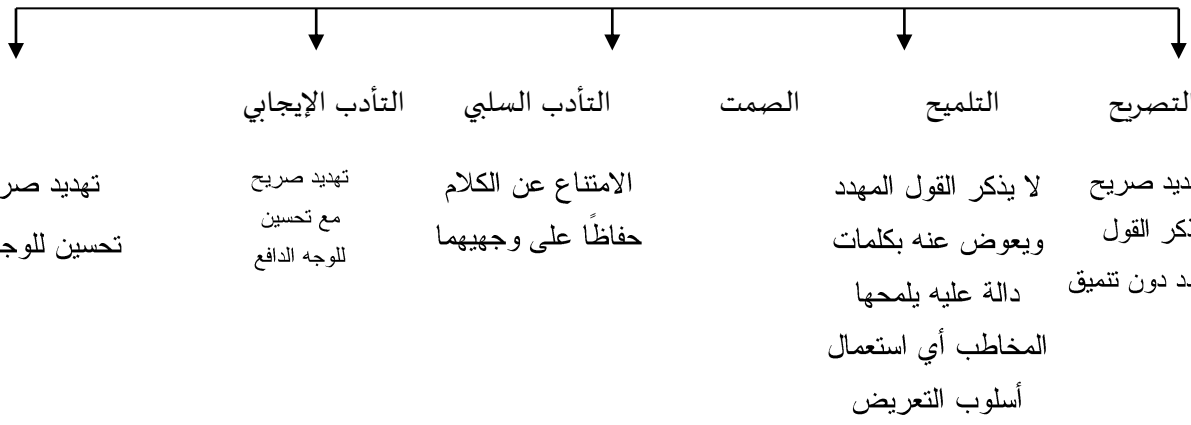

ولنضرب بعض الأمثلة لتوضيح وتبسيط تلك المبادئ الخمسة:

- أطلب منك أن لا تتدخل بأموري الشخصية (تهديد صريح).
- فضول بعض البشر قاتلهم (تعريض).
- ..... (صمت).
- ألا تستطيع ألّا تتدخل بأموري الشخصية (تأدب سلبي).
- ليتك تبادر بالصمت حين أتكلم مع أخي في أموري الشخصية (تأدب إيجابي).

ب- نظرية التهذيب[٨] للباحثة الشهيرة روبين لاكوف (Roben Lakoff) (١٩٧٣) ضمن مقالها (المنطق والتأدب) ونص هذه النظرية: "لتكن مؤدبًا" ، وقد تفرعت هذه النظرية إلى ثلاث قواعد هي:

١- **قاعدة التعفف:** لا تفرض نفسك على المخاطب، أي أبقَ متحفظًا، ومبتعدًا عن شؤون الآخرين، عدم الإلحاح على مخاطبك، واترك مسافة بينكما، ومثال ذلك في رسائل الأدباء عبارات التبجيل: (أعزك الله، وأمير المؤمنين، والوزير، ويا أيها الأمير).

٢- **قاعدة التشكك (التخيير):** أي أن يجعل المتكلم مقاصده مشكوكًا في أمرها تاركًا الأساليب التقريرية[٩] مُتجهًا نحو الاستفهام؛ ليجعل المخاطب يختار بنفسه، فجعل الخيارات مفتوحة أمام مخاطبك يعطيه حرية أكبر.

٣- **قاعدة التودد:** وتظهر هذه القاعدة حينما يكون المتحاورون في المرتبة نفسها، أو حينما يكون المتكلم في مرتبة أعلى من المخاطب، فيحاول أن يقوي العلاقة بينهما ليطمئن له المحاور الذي هو في مرتبة أدنى، وهذه القاعدة تبدو واضحة في رسائل الأجوبة التي يبعث بها الخلفاء والوزراء، والأمراء إلى الكتاب.

وترى لاكوف أن هناك علاقة بين مبدأ التعاون ومبدأ التأدب، الأولى: علاقة اتفاق، والأخرى علاقة اختلاف، أما علاقة الاتفاق فتتمثل في (قاعدة التعفف)؛ فالمخاطِب يُنتج حواره بصورة رسمية، ويتطلب منه الوضوح، وبذا يكون المخاطِب قد أدرج مبدأ التعاون بقواعده:[١٠] وأما الاختلاف، فإن المخاطِب يُرتب حديثه مع الآخر وفق قاعدتي (التشكك، والتودد)، وفي ذلك خرق واضح لمبدأ التعاون.[١١]

ويرى ليتش أن الوظيفة الأساس لمبدأ التعاون تكمن في تنظيم الكلام، ومبدأ التأدب له قدر أعلى من التنظيم؛ إذ أنه يسعى في المحافظة على العلاقات الاجتماعية وترابط الصداقات، على افتراض أن مخاطبنا متعاون معنا في إدارة الحديث.[١٢]

ج-نظرية التأدب الأقصى[١٣] نظرية (ليتش)، التي تتمحور حول السؤال التالي: كيف للمحادثات التي تتصف بالأدب واحترامها للمخاطب، أن يحافظ متكلموها على مبادئ التعاون الجرايسية؟

وهنا جاء بنظريته (نظرية اللباقة): (قلل من الكلام غير المؤدب، وأكثر من الكلام المؤدب)، فليتش لا ينفي وجود مبدأ التعاون وما تفرع عنه من مبادئ، بل أضاف وطور، فلم يقف عند حدود جرايس.[١٤]

ثم وضع تحت هذه النظرية –نظرية التأدب الأقصى ست قواعد، تجنبنا النزاع، وعدم التعاون وأهمها:

أ- قاعدة اللباقة: (قلل تكلفة الغير، وأكثر ربح الغير)، وهي كثيرة جدًا في الرسائل التي بعث بها الأدباء إلى الخلفاء والوزراء والأمراء، إذ أنهم بأشد الحاجة إليها ولاسيما حين يكون موضوع رسالتهم، طلب حاجة أو عفو عن ذنب، ويمكن أن ندرج ضمنه ما عرف عند العرب بـ (الاستدراج): «وهو التوصل إلى وصول الغرض من المخاطب، والملاطفة له بلوغ المعنى المقصود، من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب، والدقائق ما يوثق السامع، ويطربه؛ لأن مبنى صناعة التأليف عليه، ومنشأها منه»[١٥] فلابد أن يستعمل فيه الكاتب الملاطفات واللين في الكلام، والمجاملة والأدب الجميل، وقد ضرب ابن الأثير مثلاً على ظاهرة الاستدراج من القرآن الكريم: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا»[١٦].

نستنتج من ذلك أن قاعدة اللباقة لها الحظ الأكبر من نظرية التأدب الأقصى، حتى تكاد أن تكون نظرية قائمة بذاتها.

ب- قاعدة الاستحسان: (قلل ذم الغير، أكثر مدح الغير).

ج- قاعدة السخاء: (قلل ربح الذات، أكثر خسارة الذات).

د-قاعدة التواضع: (قلل مدح الذات، أكثر ذم الذات).

هـ-قاعدة الموافقة: (قلل الاختلاف بين الذات والغير، أكثر من توافق الذات مع الغير).

و-قاعدة التجانس: (قلل كراهية الذات للغير، أكثر انسجام الذات مع الغير).

ولنتابع هذه القواعد في رسائل الأدباء ونبدؤها برسالة محمد بن مكرم التي بعث بها إلى الأمير أحمد بن دينار التي يقول فيها:

((الذي حرّكني للكتاب أيها الأميرُ تعزيتك بمن لا ترميك الأيامُ بمثل الحادثِ فيه، ولا تعتاضُ ممّا كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والاستباق في صفوك، والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان الله أعاره من قوّة العقل وأصالة الرأي، ومدّ له من عنانه[٧]إلى قُصوى غايات أمله ورجائه، أبي محمد رضي الله عنه، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أفاتتنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وعالى في الثروة وتناهى، وعند الله أحتسبُ المُصابَ به؛ وعظّم الله لك الأجر، فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدادُ ثُلْمته وجابرُ رزيّته، والمؤنس من وحشته وفقده، وقد خلّف من أنت أحقّ الناس به: من عجوز وليت تربيتك وحياطتك في طبقات سنّك، ووَلَدٍ رُبُّوا في حِجْرك، ونبتُوا في حوزتك، وليس لهم بعد الله مرجعٌ سواك، ولا مقيل إلا في ظلك وذراك؛ فأنشُدُك اللهَ فيهم، فإنه رضي الله عنه أخربهم بعمارة مروءته، وقطعهم بصلة فضله، فالله يجزيه بجميل أثره ويخلف عليهم ما هو أهله، فإن رأى الأمير أن يضمهم إليه، ويحقق ثقة أبيهم كانت به، ويُجْرِيَ على أمه ما يقوم بعصمتها وصيانتها، فعل إن شاء الله))[٨].

ويظهر فيها أسلوب الكاتب المهذب باستعماله مبدأ التعفف الذي نادت به لاكوف، حيث افتتح رسالته بعبارة: (الذي حركني للكتاب) محافظًا على المسافة بينه وبين الأمير، إذ أن استعماله لهذا الأسلوب يأتي نتيجة رفضه إقحام نفسه في حوار مع الأمير دون أن يمهد لذلك، ليبقى التواصل بينهما، ولا ينقطع الحوار، فضلًا عن تعظيمه للمصيبة التي حلت بالأمير التي استوجبت عليه أن يبعث برسالة التعزية هذه، وقد كان في غاية الأدب أيضًا حين استعمل عبارة التبجيل (أيها الأمير)، وفيها إشارة إلى طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه.

وعلى صعيد الملفوظات، فقد انتقى الكاتب الأفعال التعبيرية وبشكل ملفت للنظر؛ وذلك لأن الحادثة حادثة حزن، والمقام مقام تعزية، فالكاتب به حاجة لمشاركة الأمير في مشاعره ونقل أحاسيسه التي يُفترض أنها صادقة.

أما القانون الثاني الذي نادت به لاكوف ونراه في هذه الرسالة، فهو قانون التخيير حيث أن الكاتب ترك الخيارات مفتوحة للأمير: (فأنشدُك اللهَ فيهم...فإن رأى الأمير أن يضمهم إليه، ويحقق ثقة أبيهم كانت به، ويُجْرِيَ على أمه ما يقوم بعصمتها وصيانتها، فعل إن شاء الله)، وهذا في غاية الأدب، إذ يلفت الكاتب نظر الأمير إلى حال أمه وولده من بعد تلك الفاجعة التي ألمت به، إذ أنه من شدة الحزن قد نسيهم. وقد استعمل الكاتب أسلوب الشرط مقترنًا بالدعاء (إن شاء الله) الذي أعطى للمخاطب حرية أكبر، وترك له متنفسًا في الاختيار.

إن هذه المساحة وهذه الحرية التي تركها الكاتب للأمير تنم عن وعيه بأصول مخاطبة هذه الطبقة من الناس، فمن غير اللائق أن تفرض على مخاطبك شيئًا وهو في مرتبة أعلى منك، فإن فعلتها حينئذٍ فأنت خارج عن حدود الأدب وغير متعاون مع مخاطبك في إكمال الحديث، وحوارك بأكمله لا يحمل أي معنى من معاني اللباقة.

وقد التفت العرب قديمًا إلى هذه الأمور، إذ اشترطوا على الأديب ما يأتي: ((إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك، والوزراء، والعلماء، والكتّاب. والخطباء، والأدباء، والشعراء، وأوساط الناس وسوقتهم؛ فخاطب كلا على قدر أُبَّهته وجلالته، وعلوّه وارتفاعه، وفطنته وانتباهه. واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام؛ منها: الطبقات العِلية أربعٌ، والطبقات الأُخَر وهي دونها أربعٌ. لكل منها درجة، ولكلّ قسمها لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصِّر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها...))[٩]وقد كان الكاتب محمد بن مكرم فطنًا مهذبًا في خطاب التعزية الذي بعثه إلى الأمير أحمد بن دينار، إذ حافظ على ذاته وقيمته الاجتماعية أمام الأمير حين تمسك بإظهار الوجه الجالب واعتراف الأمير بكل ما قاله

في رسالة التعزية هذه، ولاسيما حين تطرقه لموضوع أمه وعياله، فتدخله في شؤون الأمير الخاصة قد يهدد العلاقة بينهما، وسيقعان في فجوة وجفاء؛ لذا حاول أن يتدارك ذلك باستعماله أسلوب التلميح.

ومثل تلك المبادئ نجدها في كتاب أبي العيناء الذي بعثه إلى الوزير عبيد الله بن سليمان:

((قد علمت -أصلحك اللهُ!- أن الكريمَ المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور؛ لأنّ اللئيم يزيد مع النّعمة لؤما، والكريم لا يزيد مع المحنة إلّا كرما، هذا متّكل على رازقه، وهذا يسيء الظنّ بخالقه، وعبدك إلى مِلك ((كافور)) فقيرٌ، وثمنه على ما اتّصل بى يسير؛ لأنه بخدمته السلطان يعرّفني الرؤساء والإخوان؛ ولست بواجدٍ ذلك في غيره من الغلمان؛ فإن سمحت به فتلك عادتك، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادّتى، أدام الله دولتك، واستقبل بالنعمة نكبتك))[١] فأمر له به.

فعبارة الدعاء (أصلحك الله)، فيها تبجيل لشخصية المخاطب، وهذا ما تعارف عليه الكتاب في افتتاح كتبهم عند مخاطبتهم لشخصية لها مكانتها المرموقة في المجتمع؛ والقصد من ذكرهم لتلك العبارات استماله المخاطب نحوهم والتعاطف لأمرهم.

وكما هو واضح أن بين الوزير عبيد الله بن سليمان، وأبي العيناء مودة ووصال وقد ألمحنا ذلك فيما دار بينهما من مراسلات، إلا أنه في هذا الوقت كان منكوبًا مطالبًا بمال، باع لأجله كل مايملك، وقد وقعت عين أبي العيناء على عبد كان للوزير عرضه للبيع مع جملة ماعرضه من ممتلكات، وطمع أن يعطيه إياه دون مقابل؛ لذا فهو في غاية الحذر في انتقاء ألفاظه، فاستعماله للفظ (عبدك)، في رسالته فيه تأدب أقصى؛ لتواضع الكاتب أمام الوزير، وذمه ذاته، فكلمة (عبد) فيها إذلال وخنوع، والكاتب قد تقصدها في نكبة الوزير؛ ليعطيه شعورًا بأنه لايزال متمتعًا بالسيادة والسلطة، وهدفه من ذلك؛ حصوله على هذا الخادم، فأخذ بعرض الصفات المميزة له عن سواه إذ قال: (لأنه بخدمته السلطان يعرّفني الرؤساء والإخوان؛ ولست بواجدٍ ذلك في غيره من الغلمان)، فذكره للملفوظات: (السلطان، والرؤساء)، فيه تلميح للوزير بأن الكاتب به حاجة إلى قفزة توصله إلى تلك الطبقة من المجتمع، وسبيله إلى ذلك هذا الغلام، لذا نراه قد تمسك به كثيرًا، إلا أن الكاتب قد أحس بأن ذكره لهذه الألقاب فيه نوع من التعالي على الوزير فاستدركهما بلفظة (الإخوان)؛ محافظًا على وجهه الدافع، إذ من الممكن أن يعترض الوزير على تقربه من طبقة السلاطين أو الرؤساء، وبالتالي يمتنع من إعطائه الغلام فأردفه بتلك اللفظة؛ تأدبًا في مخاطبة الوزير. وما نراه واضحًا هنا من قواعد ليتش، قاعدة اللباقة التي تنص على: (قلل تكلفة الغير، وأكثر ربح الغير)، إذ أكثر الكاتب من ربح الوزير حين استعمل لفظة (الإخوان).

أما ما نراه من مبادئ لاكوف في هذه الرسالة، فهو مبدأ التخيير في قوله: (فإن سمحت به فتلك عادتك، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادّتى) ويبدو أن مبدأ التخيير هذا أكثر أدبًا ولباقة في طرح الموضوعات، والوصول إلى المبتغيات، فالملاحظ أن كل تخيير في الرسائل التي بعث بها الكتاب إلى من هم في أعلى طبقات المجتمع، جاءت محققة لما أرادوه أو طلبوه، وفي رسالتنا التي بين أيدينا قد تم ما جاء له أبو العيناء طالبًا، فإن الوزير قد أمر بإعطائه ذلك العبد، وقد ختم رسالته بالدعاء للوزير، وأي دعاء استعمله الكاتب في رسالته (أدام الله دولتك)، إذ فيه تلطف في الكلام ومجاملة كبرى ببقاء دولة الوزير بعد نكبته.

ولابن المعتز اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله[٢] يقول فيه:

((ترفّع عن ظلمي إن كنت بريئًا، وتفضّل بالعفو إن كنت مسيئًا، فو الله إني لأطلب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة[٣] مما لا أعرفه؛ لتزداد تطوّلاً[٤] وأزداد تذلّلًا؛ وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها، وأحرسها

بوفائك من باغٍ يحاول إفسادها، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّي منك، بقدر ودّي لك؛ ومحلّي من رجائك، بحيث أستحقّ منك»[٦٥]

وفيه يطلب من الوزير أن يتأكد مما نُقل إليه من كلام إذ قد يكون من كلام الحساد، أو ممن يريدون الوشاية، وإفساد العلاقة الطيبة بينه وبين الوزير، لذا نراه قد حاور الوزير بأسلوب كله تهذيب، ويمكننا القول أن من أقرب المبادئ التي نادى بها ليتش في عبارة الكاتب: (ترفع عن ظلمي)، هو مبدأ اللباقة، فكأنه أكثر من ربح ذات الوزير مقابل ذاته، فذاته شيء حقير يطلب من الوزير أن يترفع عن ظلمها، واختار مبدأ التخيير: (ترفّع عن ظلمي إن كنت بريئًا، وتفضّل بالعفو إن كنت مسيئًا)، وفي كلا الخيارين كان الكاتب حريصًا على ايصال اعتذاره للوزير بأسلوب يوطد العلاقة بينهما أكثر فأكثر؛ وليتمكن من دفع التهمة عنه، ثم استعمل الكاتب أسلوب التأدب الأقصى الذي نادى به ليتش في بقية رسالته: (فو الله إني لأطلب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه؛ لتزداد تطوّلاً، وأزداد تذلّلًا؛ وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها، وأحرسها بوفائك من باغٍ يحاول إفسادها، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّي منك، بقدر ودّي لك؛ ومحلّي من رجائك، بحيث أستحقّ منك)، مؤثرًا الوزير على نفسه، فالوشاية أمرها عظيم، تكاد أن تهلكه وتفرق بينهما، وقد استعمل في عبارة الاعتذار التأدب السلبي (الدافع)، أيضًا، ليحافظ على ماء وجهه مما نقله الواشون.

ومثل ذلك نجده عند عبد الحميد الكاتب في رسالة بعث بها إلى الخليفة مروان يطلب منه حاجته:

«إن الله بنعمته عليَّ، لَمَّا رزقني المنزلةَ من أمير المؤمنين، جعل معها شكرها مقرونًا بها، فهي تنمي بالزيادة، والشكر مصاحبٌ لها، فليست تدخُلُني وَحشةٌ من إنبَاء حاجتي، وأنا أعلم أنه لو وَصَل إلى أمير المؤمنين علم حالي أغناني عن استزادته، ولكني تكنَّفَتْني[٦٦] مُؤنٌ استنفضت ما في يدي، وكنت للخَلَف من الله منتظرًا، فإني إنما أتقلب في نعمه، واتمرغ في فوائده، وأعتصِم بسالف معروفه كان عندي»[٦٧]

فالمتأمل فيها يراها في قمة الكتابات وروعتها، إذ يبتدؤها بذكر تلك المنزلة العظيمة التي منحه إياها الخليفة، شاكرًا الله على تلك النعمة، وهي بمثابة المدخل الذي يجعله أكثر لباقة وتهذيبًا عند مخاطبه صاحب السلطة والنفوذ؛ ولكي يحافظ على ماء وجهه -كما يقول براون وليفنسون- في الوقت نفسه.

ونجد في رسالته أيضًا زخمًا هائلًا من عبارات المدح والثناء، وهو شيء ضروري يتماشى مع غرض الرسالة، فهو أمام خليفة، كيف إذن يمكنه أن يطلب ما يريد، أ يطلبه بصورة مباشرة! وهذا غير ملائم مع عاداتهم وأعرافهم عند مخاطبة أصحاب السلطة، أم يبقى ملتزمًا بالأطر الأدبية في مخاطبة أصحاب النفوذ فهو مقيد أذن بالخطاب المؤدب المحتشم، وهو ما عرفه الكتاب أنذاك، فبدأ بذكر طيب العيش وانعام الوزير عليه، وهو ما يسميه ليتش الاستحسان، أي أنك ملزم بالإكثار من مدح مخاطبك، والكاتب على علم أن المدح هو طريقته في الوصول إلى مبتغاه، بل حتى شكوى حاله لم يعطها مساحة في رسالته؛ لأن ذلك مما يهدد وجه الخليفة فيمتنع عن تلبية حاجته، يقول القلقشندي: «إذا كاتبت رئيسًا في معنى الاستزادة والشّكوى، لا يجوز أن تأتي بمعناهما في ألفاظهما الخاصّة، بل يجب أن تعدل عن [ألفاظ] الشكوى إلى ألفاظ الشّكر، وعن ألفاظ الاستزادة إلى ألفاظ الاستعطاف والسّؤال في النّظر، لتكون قد رتّبت كلامك في رتبته، وأخرجت معناك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير»[٦٨]وقد راعى الكاتب تلك المبادئ؛ لأنه على علم بقواعد التأدب في الكتابة، كيف لا وهو صانع فن الكتابة، وواضع قوانينها. فضلًا عن استعماله عبارة التبجيل (أمير المؤمنين)، التي وضعتها لاكوف ضمن مبادئ التأدب في الحديث.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم من بحث في قوانين المحادثة لرسائل الأدباء المرسلة إلى الخلفاء والوزراء والأمراء تكون الدراسة قد بلغت الغاية المنوطة بها، وانتهت إلى عدد من النتائج:

- إن المبدأ المهيمن من بين مبادئ غرايس على رسائل الأدباء هو مبدأ الكم فهو المبدأ الأكثر التزامًا من بينها.
- أثبتتِ الدراسة أن مبدأ الطريقة يتداخل مع مبدأ المناسبة في رسائلهم الموجهة إلى الخلفاء والوزراء والأمراء؛ فكل منهما يخضع للاختصار.
- بينت الدراسة أن التوقيعات والوعود التي قطعها الخلفاء ووزراؤهم وأمراؤهم، تمثلت في مبدأ الكيف الذي صاغه غرايس: (لا تتطرق لما هو كاذب في حديثك، ولا تقل كلامًا دون دليل عليه)، فمن لديه منصب خليفة أو وزير أو أمير استحالة أن يقطع وعدًا لا يفي به، أو يبعث توقيعًا لا يُنفذ، أو أن يخبر عن حديث ما دون أن يكون متأكدًا وواثقًا تمام الثقة منه.
- أوضحتِ الدراسة أن قاعدة اللباقة هي المهيمنة على الرسائل التي بعث بها الأدباء إلى الخلفاء والوزراء والأمراء، ولاسيما حين يكون موضوع رسالتهم، طلب حاجة أو العفو والصفح.

الهوامش:

١) ينظر: البراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٧، والنظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، د. محمود عكاشة، هامش رقم: ٢، ص: ٨٦، وبعضهم يرى أنها بدأت في عام ١٩٦٨م، ينظر: علم اللغة البراجماتي، بيتر ارنست: ١٧٣، أو في عام ١٩٧٥م، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٣٢.

٢) ينظر: البراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٣.

٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٣٣، والنظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، د. محمود عكاشة، هامش رقم: ٢، ص: ٨٦، والتداولية، أ. سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر/ الجزائر، ع: ٥، مارس(٢٠٠٩)، ص: ١٠٥.

٤) استلهم غرايس تلك المبادئ الأربعة من كانط (Emmanuel Kant)، ينظر: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، مج: ٤٣، ع: ١، يوليو- سبتمبر، ٢٠١٤م، الكويت، ص: ١١٨.

٥) وقد صاغ طه عبد الرحمن تلك المبادئ الحوارية بصيغة عربية، أطلق عليها اسم (مبدأ التصديق)، الذي ينص على: ((لا تقل لغيرك قولًا لا يصدقه فعلك)) مستثنيًا منه مبدأ الكيف، ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٤٩-٢٥٠، وتداولية الخطاب السردي، د. محمود طلحة: ١٢٧.

٦) المنطق والحوار، بول غرايس، ضمن كتاب: علم اللغة النظريات اللغوية- اللغة والفعل، تحرير: لودجرهوفمان، تر: سعيد بحيري:١/ ٢٨٨، وينظر: المضمر، أوريكيوني: ٣٤٥، والنظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: ٣٦٨، ومدخل إلى البراجماتية اللغوية، جورج مايباور: ٥٨.

٧) ويفرق غرايس بين الخرق، والتعويم، والانتهاك والخروج، فأما الخرق: فيحدث نتيجة عدم التزام المتكلم بأحد المبادئ الأساسية في التعاون الحواري ويكون حينئذٍ مسؤولًا عن تضليل السامع، وأما التعويم: فهو ناتج عن إخفاق المتكلم في الالتزام بمبدأ أساسي، دون أي نية للخداع أو التضليل، فالمتكلم يحث السامع على البحث عن معنى إضافي، وأما الانتهاك: فيتميز به أصحاب الأداء اللغوي غير السليم (طفل أو شخص يتعلم لغة جديدة)، أما الخروج: فهو عدم رغبة المتكلم بالتعاون في الحوارات وذلك لأسباب أخلاقية أو قانونية، فيخرج عن الالتزام بمبدأ أساسي من مبادئ الحوار، ينظر: المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية التداولية، د. جيني توماس: ٨٤، ٩٤.

٨) وتدرج المفارقات والمجازات ضمن الاستلزام الحواري؛ لأنها تعني عكس ما يقال، أو غير ما يتوقع، ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٣٨.

٩) ينظر: الاستلزام الحواري، العياشي أدراوي: ١٠٤، وفي التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، د. ثروت مرسي: ٢٥١.

١٠) ويشمل أيضًا الافتراضات المسبقة، ينظر: التداولية، جورج يول: ٥١، وتسميها الأستاذة كادة ليلى بـ(نظرية الاقتضاء)، ينظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني، مجلة علوم اللغة، أ. كادة ليلى، ع: ١، مارس (٢٠٠٩)، ص: ١٠٥، في حين يرى د. محمود عكاشة أن مفهوم الاستلزام مختلف عن مفهوم الاقتضاء، فالأول يتغير بتغير السياق في حين يتسم الثاني بالثبات، ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية(التداولية): ٨٧.

١١) ينظر: الوظائف التداولية، يوسف تغزاوي: ١٢٥، ويرى المؤلف أن نظرية الاستلزام الحواري تساوي ما أطلق عليه سيرل بالفعل اللغوي غير المباشر، في حين يرى د. محمد العبد عكس ذلك، فغرايس لم يركز على الموقفية ولا على أثر الأعراف في اختلاف القصد للمنطوق الحرفي، ينظر: العبارة والإشارة: ٧٣.

١٢) نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، مج: ٤٣، ع: ١، يوليو- سبتمبر، ٢٠١٤م، الكويت، ص: ١١٤.

١٣) اهتم الغرايسيون الجدد بتقليص قواعد الاستلزام الحواري، ينظر تفصيل ذلك في كتاب في التداوليات الاستدلالية، د. ثروت مرسي٢٦٣.

١٤) ينظر: في التداوليات الاستدلالية، د. ثروت مرسي: ٢٤٣.

١٥) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، د. محمود عكاشة: ٩٤.

١٦) التداولية، جورج يول: ١٨٧.

١٧) ينظر: المنطق والحوار، بول كرايس، ضمن كتاب علم اللغة النظريات اللغوية، تر: سعيد بحيري: ١/ ٢٨٩، وعلم لغة النص، عزة شبل: ٣١، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ٩٩، والنظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي:٣٦٩، والبراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٨، واللسانيات مقدمة إلى المقدمات، جين إتشسن: ٢١٣.

١٨) المضمر، أوريكيوني: ٣٩٠.

١٩) ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ضمن كتاب علم اللغة النظريات اللغوية، تر: سعيد بحيري: ١/ ٢٨٩، وعلم لغة النص، عزة شبل: ٣١، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ٩٩، والنظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي:٣٦٩، والبراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٨، واللسانيات مقدمة إلى المقدمات، جين إتشسن: ٢١٣.

٢٠) المضمر، أوريكيوني: ٣٥٩.

٢١) ينظر: المنطق والحوار، بول كرايس، ضمن كتاب علم اللغة النظريات اللغوية، تر: سعيد بحيري: ١/ ٢٩٠، وعلم لغة النص، عزة شبل: ٣١، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ٩٩-١٠٠، والنظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي:٣٦٩، والبراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٨، واللسانيات مقدمة إلى المقدمات، جين إتشسن: ٢١٤.

٢٢) ينظر: المنطق والحوار، بول كرايس، ضمن كتاب علم اللغة النظريات اللغوية، تر: سعيد بحيري: ١/ ٢٩٠، وعلم لغة النص، عزة شبل: ٣١، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ١٠٠، والنظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي:٣٦٩-٣٧٠، والبراجماتية اللغوية، ليفنسون: ١٤٨-١٤٩، واللسانيات مقدمة إلى المقدمات، جين إتشسن: ٢١٤.

٢٣) يقال: عود ذاوٍ وعيدان ذاوية، وقد ذوى العود والبقل أي (يبس)، ينظر: أساس البلاغة: مادة (ذوي).

٢٤) التَّجَرُّس: التَّكلُّمُ والتَّنغُّم والتَّجْرِيسُ بالقَوم، التَّسميعُ بهم والتنديد، ينظر: تاج العروس: مادة: (جرس)، وفي مجاني الأدب في حدائق العرب، وجمهرة رسائل العرب: (مُخْرِسًا).

٢٥) عيون الأخبار: ٣/ ٢١٧.

٢٦) أي: أخرناه، لسان العرب: مادة (نسأ)، وفي جمهرة رسائل العرب: (أُنْسِيناه).

٢٧) وفي جمهرة رسائل العرب: (اقتسامه).

٢٨) الغلة: العطش أو شدته أو حرارة الجوف، ويأتي الغل بمعنى: الحقد، ويأتي بمعنى: الدخل من كراء دار أو أجر غلام أو فائدة أرض، والمعنى الأقرب لما يقصده الوزير هو الأول أي: (أنني قد أمرت لك برزق شهرين لتروي عطش الأيام التي مضت دون أن يكون لك فيها رزق منا)، ينظر: القاموس المحيط، مادة (غل)، وفي الجمهرة: (لتزيح علتك).

٢٩) زهر الآداب وثمر الألباب: ١/ ٣٢٤-٣٢٥، ومجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف: ٤/ ٢٦٨، وجمهرة رسائل العرب: ٢٨٣/٤.

٣٠) صبح الأعشى: ٦/ ٣٠٩.

٣١) وزير المعتز بالله (ت٢٦٨هـ)، ينظر: الوافي بالوفيات: ١١/ ١١٨.

٣٢) وفي الآداب وثمر الألباب، وجمهرة رسائل العرب: حبسًا لشعري.

٣٣) البصائر والذخائر: ٨/ ٢٠٢، وزهر الآداب وثمر الألباب: ٤/ ٩٤٢-٩٤٣، وجمهرة رسائل العرب: ٤: ٢٦٩.

٣٤) ينظر: صبح الأعشى: ٦/ ٢٨٣.

٣٥) مؤخِرًا، ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (رجا)

٣٦) الخطر: ارتفاع المكانة والمنزلة والمال والشرف، ينظر: العين، مادة (خطر).

٣٧) عرف هذا الوزير بهذه الصفة، ينظر: تاريخ دمشق: ٧٢/ ١٧٢.

٣٨) أي: تراخِيك عنه: ينظر المحكم والمحيط الأعظم، وأساس البلاغة، مادة: (طول).

٣٩) المحاسن والأضداد، الجاحظ: ١٢، والمحاسن والمساوئ، إبراهيم البيهقي: ١٩١، والصناعتين، العسكري: ٣٦٨، والمثل السائر: ٢/ ٧٥.

٤٠) ينظر: أدب الكتاب، الصولي: ١/ ١٣٤.

٤١) أي: الكربة، ينظر: لسان العرب، مادة: (ربق).

٤٢) وفي المحاسن والمساوئ، وزهر الآداب: (حسن لفظها).

٤٣) السماجة: القبح، ينظر: تاج العروس، مادة: (سمج).

٤٤) المحاسن والأضداد، الجاحظ: ٣٥، والمحاسن والمساوئ، إبراهيم البيهقي: ١٩٢، وزهر الآداب: ٤/ ١٠٩٤.

٤٥) المضمر: ٣٥٩.

٤٦) العقد الفريد: ٤/ ٢٦٣، ٢٦٩، ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٧/ ١٨٥، ١٨٨.

٤٧) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٤٣، ٢٤٤، واستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٢٦٣-٢٦٤، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ١٢٠-١٢١، والاستلزام الحواري في القرآن الكريم آيات من سورة مريم أنموذجًا، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، ديسمبر/ ٢٠١٧م، ص: ٢٨-٢٩.

٤٨) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٤٠-٢٤١، استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٢٦٤، ٢٦٦، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ١١٨-١١٩، والاستلزام الحواري في القرآن الكريم آيات من سورة مريم أنموذجًا، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، ديسمبر/ ٢٠١٧م، ص: ٢٨-٢٩.

٤٩) ((ومعناهُ حملك المُخَاطب على الإِقرَار والاعتِرَاف بِأَمر قد استَقر عنده ثُبُوته أَو نَفيه ويجب أَن يلِيها الشَّيء الذي تقرره بِه تَقول في التقرير بالفعلِ أضربت زيدا وبالفاعل أَأَنت ضربت زيدا وبالمفعول أزيدا ضربت))، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٦.

٥٠) يرى طه عبد الرحمن أن مبدأ التعاون يقتصر على الجانب التبليغي من الحوار، في حين يشمل مبدأ التأدب الجانب التبليغي والتهذيبي منه، ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٣٩- ٢٤٠.

٥١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ١٠٢.

٥٢) ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني: ١١٠-١١١.

٥٣) اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ٢٤٦- ٢٤٧، واستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٢٦٦، ٢٦٧، والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: ١٢١-١٢٢، والاستلزام الحواري في القرآن الكريم آيات من سورة مريم أنموذجًا، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، ديسمبر/ ٢٠١٧م، ص: ٢٩-٣٠.

٥٤) ينظر: التداولية: البعد الثالث في سيموطيقيا موريس، د. عيد بلبع: ٧٢.

٥٥) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: ١/ ٢٣٧.

٥٦) سورة مريم: ٤١-٤٥.

٥٧) أي خيره، جاء في المحكم والمحيط الأعظم: فلان قصير العنان: أي قليل الخير، ينظر: مادة (عن).

٥٨) جمهرة رسائل العرب: ٤/ ٢١٤-٢١٥.

٥٩) العقد الفريد: ٤/ ٢٦٢، وينظر: صبح الأعشى: ٦/ ٢٩١.

٦٠) وفي زهر الآداب: (أجراً).

٦١) البصائر والذخائر: ٨/ ١٦٦، وزهر الآداب: ١/ ٣٢٤، وجمهرة رسائل العرب: ٤/ ٢٨٤.

٦٢) وزير المعتضد (ت ٢٩١هـ)، كان سفاكًا للدماء، الصغير والكبير منه على وجل، لا يعرف أحد من أرباب الأموال منه نعمة. ينظر: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: ٢/ ٦٤٣.

٦٣) نقول: أقال الله عثرته، إذا رفعه من سقوطه، ينظر: المصباح المنير: مادة (قال).

٦٤) تفضلًا، ينظر: أساس البلاغة، مادة (طول).

٦٥) زهر الآداب: ١/ ٢٢٧.

٦٦) تكنف الشيء واكتنفه: صار حواليه. وتكنفوه من كل جانب أي احتوشوه، ينظر: لسان العرب: مادة (كنف).

٦٧) جمهرة رسائل العرب: ٢/ ٤٧٢.

٦٨) صبح الأعشى: ٦/ ٢٩٢.

المصادر والمراجع:

- **القران الكريم**

حرف الألف

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- أدب الكاتب، أو أدب الكتّاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١, ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١, آذار، مارس, ٢٠٠٤م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١١م.

حرف الباء

- البراجماتية اللغوية، ستيفن ك. ليفنسون، ترجمة: أ.د. سعيد حسن بحيري، ط١ ,٢٠١٥ م.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ)، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- التداولية البعد الثالث في سيموطيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، د. عيد بلبع، المجمع الاسلامي، القاهرة، ط٢، ٢٠١٤م.
- تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، ط١ ,٢٠١٢ م.
- التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١, ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

حرف الجيم

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ط١.

حرف الزاي

- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤.

حرف الصاد

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري (ت٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

حرف العين

- العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، د. محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- العقد الفريد، احمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- علم اللغة البراجماتي الأسس– التطبيقات– المشكلات، بيتر أرنست، ترجمة: أ.د. سعيد حسن بحيري، ط١, ٢٠١٤م.
- علم اللغة النظريات اللغوية _ اللغة والفعل، لودجرهوفمان، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١ ,٢٠١٥م.
- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: أ.د. سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

حرف الفاء

- في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، ثروت مرسي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٨م.

حرف القاف

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (ت ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٨ م.

حرف اللام

- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.
- اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، جين إتشسن، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

حرف الميم

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.
- مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٩١٣ م.
- المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي، أبو عثمان، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي (ت٣٢٠هـ)، دار الكتب العلمية.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- مدخل الى البراجماتية اللغوية، يورج مايباور، ترجمة: أ.د. سعيد حسن بحيري، ط١, ٢٠١٤ م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- المضمر، كاترين كيربرات- أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، د. جيني توماس، ترجمة: د. نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء- الرياض، ط١, ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط: ٦، ١٩٨٥م.

حرف النون

- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن الى الذرائعية، ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، ط١, بيروت، آذار (مارس), ٢٠١٢م.
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د. محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

حرف الواو

- الوظائف التداولية استراتجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، أ.د. يوسف تغزاوي, عالم الكتب الحديث, إربد- الأردن, ط١، ٢٠١٤م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

المجلات والدوريات

- الاستلزام الحواري في القرآن الكريم آيات من سورة مريم انموذجًا، د. سامية محصول، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ٢٠١٧م.
- التداولية، أ. سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر، ع: ٥، مارس- ٢٠٠٥م.
- ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، أ.كادة ليلى ,مجلة علوم اللغة العربية وآدابها, ع١, ربيع الأول- ١٤٣٠هـ- مارس- ٢٠٠٩م.
- نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، د. حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج: ٤٣، ع: ١، سبتمبر، ٢٠١٤م.